الاثنين 1 مارس/ آذار 2021 م 17 رجب 1442 هـ ◻ العدد 2373 السنة السابعة
Monday 1 March 2021

العربي الجديد

هوامش

تعد مكتبة الأمة في تركيا المكتبة الأكثر جمعًا للكتب والوثائق في البلاد. استغرق بناؤها أربع سنوات، إذْ صممت معماريًا على الطراز السلجوقي والعثماني

تحتوي المكتبة على كتب نادرة عن تركيا (Getty)

مكتبة الأمة

كنز تركي معاصر يروي تاريخ الماضي بالوثائق

إسطنبول ـ **عدنان عبد الرزاق**

بعد أربع سنوات من عمليات البناء على الطراز السلجوقي والعثماني، افتتحت تركيا في شباط/ فبراير العام الماضي، مكتبة الأمة لتكون الأكبر والأكثر جمعاً للكتب والوثائق، باحتوائها على ملايين الكتب المطبوعة والإلكترونية، فضلاً عن الوثائق النادرة والمخطوطات والدوريات القديمة. تم تصنيف المحتويات على رفوف مجموع طولها 201 كلم ضمن المجمع الرئاسي بالعاصمة التركية أنقرة، بمساحة 125 ألف كيلومتر مربع، وقدرة استيعابية لـ5 آلاف شخص، يمكن لمن يريد منهم، ومن كافة الفئات العمرية، أن يرتاد المكتبة المفتوحة على مدار 24 ساعة، عبر اشتراك عضوية يجدد كل سنة من خلال موقع الحكومة الإلكترونية أو عن طريق التقديم شخصيًا في الاستعلامات داخل المكتبة.

ويصف المدرس المتخصص بالتصنيف والمكتبات، ساميت الكياز مكتبة الأمة بـ«إنجاز القرن» على الصعيد العمراني والثقافي، فهي برأيه الترجمة العملية لنقل واستعادة ثقافة القراءة التي بدأت تتراجع، خاصة عند فئات الشباب، بعد انتشار التكنولوجيا ووسائل الاتصال التي لا تكوّن ثقافة عميقة ومرجعية، على حسب وصفه.

ويقول المتخصص ألكياز إن مكتبة الأمة تتعدى كونها مكاناً يحوي كتباً ووثائق ومخطوطات نادرة، بل بفضل القاعات، أصبحت ملتقى للندوات والمؤتمرات ونظراً إلى ما يجاورها بالمجمع الرئاسي، من صالة العرض ومركز المؤتمرات وحتى الحدائق والساحات، باتت صاحبة الوظيفة الأهم ضمن الصرح الكبير.

ويشير المدرس التركي لـ«العربي الجديد» إلى أن الاختلاف والغنى بمكتبة الأمة أو المكتبة الوطنية، هو كونها تحوي على كتب نادرة عن تركيا، ففيها كتب بـ 134 لغة مختلفة وتقارير من 100 دولة، خاصة خلال الإمبراطورية العثمانية التي توسعت إلى دول المشرق والمغرب.

وحول أهم المكتبات بتركيا، يختم ألكياز أن في بلاده أكثر من 32 ألف مكتبة، وطنية وعامة وجامعية، ولكن تبقى مكتبة السليمانية بإسطنبول هي الأولى حتى الآن لجهة المخطوطات، حتى أنها تسبق مكتبة الأمة الجديدة. وإن تكلمنا عن القدم، تأتي مكتبة بايزيد الوطنية، كأهم المكتبات الموجودة في تركيا وإسطنبول، فهي أولى المكتبات العامة التي دخلت الخدمة عام 1884. ولكن، رأينا في مكتبة الأمة الجديدة بأنقرة، جمعاً وتحديثاً لكل مسيرة المكتبات بتركيا.

وتعد المكتبة الوطنية بالمجمع الرئاسي، أكبر المكتبات في تركيا، ويتوقع أن تكون من بين المكتبات الرائدة في العالم، بالنظر إلى مجموعات الكتب التي تحتويها والخدمات التي تقدمها. ويقع مبنى مكتبة الأمة ضمن أرض المجمع الرئاسي المنخفضة، لكن ارتفاع المبنى وفخامته، جعلها تتساوى مع الأبنية الواقعة في الارتفاعات العالية. كما تحتوي على 56 قاعدة بيانات متاحة للزوار، فيها 550 ألف كتاب إلكتروني، و6 ملايين و500 ألف أطروحة إلكترونية (مشروع تخرج)، و120 مليون مقالة وتقرير لـ 60 ألف مجلة إلكترونية. ويتم تقديم مصادر المعلومات هذه للمستخدمين وفقًا لأحدث الطرق والمفاهيم. وبحسب مصادر تركية، توفر المكتبة الوصول إلى المعلومات بطرق لا حصر لها، وذلك بفضل النظام المتكامل لنقل الكتب الذي يتم استخدامه لأول مرة، إلى جانب حواسيب البنية التحتية التكنولوجية وشاشات اللمس والاتصال بالإنترنت.

وتبين المصادر تنوع الخدمات الإلكترونية التي تقدمها المكتبة، إذ يتمكن القراء من الوصول إلى محتويات المكتبة عبر تطبيقات الجوال طوال الأسبوع وعلى مدار 24 ساعة. وتحتوي المكتبة على 23 مصعدًا، بينها 6 مصاعد بانورامية (زجاجية) وذلك بهدف تسهيل تنقل الزوار بين طوابقها.

وربما الملفت والغريب بقصة المكتبات والقراءة بتركيا، مسألتان. الأولى إطلاق الحكومة التركية عام 2017 عشر مكتبات متنقلة في بعض الولايات التركية لتشجيع الناس على القراءة، خصوصاً في المناطق الريفية. وقال وزير السياحة والثقافة وقتذاك، نعمان كورتولموش، إن ما يقرب من 400 ألف مواطن استفاد من المكتبات المتنقلة خلال عام، متمنيا أن تعمم التجربة في كل تركيا. وأما الأمر الذي وجدناه ملفتاً، خلال تقليب أوراق المكتبات والتشجيع على القراءة، فكان في بلدية مدينة جانقيري شمالي تركيا، حين بنت عام 2019 سفينة فوق بحيرة بالمدينة، خصصت قسمها العلوي لتناول الحلوى والمشروبات، فيما خصصت القسم السفلي للقراءة والمطالعة.

باختصار

تم تصنيف المحتويات على رفوف مجموع طولها 201 كلم ضمن المجمع الرئاسي بالعاصمة التركية أنقرة، بمساحة 125 ألف كيلو متر مربع وقدرة استيعابية لـ5 آلاف شخص

■■■

كتب بـ 134 لغة مختلفة وتقارير من 100 دولة، خاصة خلال الإمبراطورية العثمانية التي توسعت إلى دول المشرق والمغرب

■■■

تحتوي المكتبة على 56 قاعدة بيانات متاحة للزوار فيها 550 ألف كتاب إلكتروني

وأخيراً

دوستويفسكي وتجليات الخلود

محمود الرحبي

اعتمدت منظمة يونسكو، أخيراً، العام الحالي 2021 عاماً لدوستويفسكي. وبالنظر إلى قيمة المُحتفى به، سيكون الاحتفال كبيراً، يشارك فيه كل العالم. وليس الأمر جديداً أو مبتكراً، فمنذ مائة عام (وُلد في 1821 وتوفي في 1881) حدث أمر شبيه، كما كتبت ابنته، لوبوف دوستويفسكي، في مذكراتها، فعلى الرغم من الحرب يومئذٍ، وتقطّع السبل، فإن المشاركات العالمية بمرور مائة عام على ولادة أسطورة الأدب العالمي كانت ملفتة.

يجعلنا الحديث عن دوستويفسكي نعرّج على تأثير الأدب والفن الروسيَين في العالم. وفي الحقيقة، كلّ أديب وفنان ورسام روسي، وليس دوستويفسكي فقط، يستحق أن يُحتفى به عالمياً، لأنهم أساتذة مؤثرون، ليس في الأدب والفن فقط، بل تسلّل تأثيرهم إلى العلوم والسياسة، فهذا عالِم الرياضيات، أينشتاين، يعترف بأنه يدين لصاحب «الإخوة كارامازوف» بالكثير (خصوصاً الجزء الثاني من الرواية). وفرويد، الذي سبقه دوستويفسكي في الغوص في عوالم النفس البشرية، انطلق إلى تحليل الأدب، نفسياً، بناء على كشوفات صاحب «الجريمة والعقاب»... وعندما تقرأ رواية «المزدوج»، تكتشف، كما صاحب هذه السطور، القدرة العجيبة لدى دوستويفسكي في النفاذ إلى أعماق شخوصه، واستكناه بواطنها ووساوسها وهواجسها.

كما كان تأثير تولستوي واضحاً على السياسي الهندي غاندي. وكلاهما ينتميان لعائلة ثرية، فحين خصص تولستوي مزرعة كبيرة، بنى فيها مدارس ومستشفى للفقراء، فعل غاندي الشيء نفسه، وسمى مزرعته في الهند مزرعة تولستوي وتفرّغ للزهد، تماماً كما فعل تولستوي. وكنت قد رأيت في موسكو تمثالاً لغاندي. وحين مات تولستوي، رثاه أحمد شوقي بقصيدةٍ، قال في مطلعها: تولستوي تجري آية العلم دمعها/ عليك ويبكي بائس وفقير. وشعب ضعيف الركن زال نصيره/ وما كل يوم للضعيف نصير.

لقد أثّر الأدب الروسي على الأدب العالمي، خصوصاً الرواية، كما فعل الأدب الفرنسي من قبل. وهناك معطيات واقعية ساهمت في حدوث هذه الطفرة. فكما يقول إميل زولا، في اعترافاته، إن «معظم الكتاب الفرنسيين في زمنه يكتبون بروح الموظفين»، أي أن كتاباتهم كانت متشابهة، ولا تحمل قوة إبداعية، وهذا صحيحٌ، لأننا، وبدءاً من نهاية القرن التاسع عشر، لم نسمع عن كتاب فرنسيين بحجم ديدرو وبلزاك وستاندال وفولتير. في المقابل، كانت الضفة الروسية تتلاطم بالأسماء الكبيرة. والسبب أن الثقافة الروسية، وهي تتمتع بمخزون شعبي هائل، وبمجرّد أن اشتعل فيها قبسٌ من الثقافة الأوروبية الغربية، بفضل الانفتاح الذي بدأه بطرس الأكبر (القيصر) الذي فتح نافذة على أوروبا (لأن روسيا قبله كانت شبه منغلقة، ومنكفئة على نفسها، لأسباب سياسية وعسكرية) بمجرّد ما عبر الضوء من تلك النافذة إلى روسيا، اشتعلت بالإبداع في كل المجالات، وتعزّزت القيمة الإبداعية للأدب، وهي التي ضعفت في الغرب، وظهر في العالم قبسٌ أدبي جديد وفتيّ، فاستسلم أمام الضياء الفياض، واضطرّ إلى فتح الأبواب والنوافذ له ..

> أثّر الأدب الروسي على الأدب العالمي، خصوصاً الرواية، كما فعل الأدب الفرنسي من قبل

وبسبب هذا التأثير المعاكس، استمدّ الغرب قوة من روسيا، وبدأت آدابه تشهد طفرةً نوعية، فظهرت أسماء جديدة وكبيرة، مثل كافكا وهيرمان هيسه وجيمس جويس، وصولاً إلى ميلان كونديرا، الذين استوعبوا بدورهم الأدب الروسي وهضموه، وأبدعوا استلهاماً من معينه، وتأثّراً بإبداعات قاماته، ودوستويفسكي إحداها، فنحن لا نستطيع أن نقرأ «صرصار» كافكا، مثلاً، من غير أن نتذكّر «أنف» غوغول. والاثنان عظيمان، وكتبا بلغة تنبع من الزمن الذي عاشا فيه. وطبعاً، لا بد من التعريج على إسهامات الشكلانيين الروس، ومنعرجات ميخائيل باختين الكبرى في النقد العالمي، وسحُب باسترناك الشعرية الماطرة (كان ستالين يقول لا تلمسوا ساكن الغيوم هذا، حين تأتيه تقارير المخبرين عنه). وكذلك على عبقرية شاغال في الفن التشكيلي، وماذا لو لم يكن هناك تشايكوفسكي وبحيرة البجع؟ وكيف سيكون حال السينما لو أزلنا اسم آيزنشتاين واكتشافاته وثورته في المونتاج. وبالنسبة لدوستويفكسي، يصعب تصوّر شكل الرواية العالمية بدونه.

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**